الفصل التاسع
(وتتلاقى العيون)

ثوانٍ معدودة تمر كأن الزمن قد توقف عند تلك اللحظة عندما تقع عيناك بعين مَن تحب وكيف لا وهي الموطن والمأوى؟

سمع يوسف طرقات على باب غرفته.
- يوسف أنا خلصت إنت جهزت.
- آه تعالي ادخلي.
يتفاجأ يوسف بما ترتديه سديم كعادتها متألقة بنقابها ..لتسمع منه ما يجعل قلبها يتألم بشدة.
- إيه يا بنتي القرف اللي لابساها ده...إنتى إزاي راضية لنفسك كدا ..استحالة أمشي معاكي كدا.

أصابت كلمات يوسف قلب سديم مما جعلتها تذهب مسرعة إلى غرفتها في حالة بكاء ..يقف يوسف صامتا يلوم نفسه على ما قال ولكن لا يدري لِمَ فعل ذلك؟...يذهب يوسف إلى غرفتها ويطرق الباب
- سديم ممكن أدخل؟
- نسيت حاجة تقولهالي جاي تكملها اتفضل قولها ....قالتها سديم وصوتها يكاد أن يخرج من حنجرتها
يجلس يوسف على حافة سريرها ليقول بصوت تعتليه نبرة الندم:
- مهما اعتذرت عارف إن الموضوع صعب.... بس والله أنا نفسي مستغرب من كلامي، دبش أنا عارف...كتر خير مراتي والله ..تعمد يوسف أن يقولها ليمازح سديم ثم تابع قائلاً:
تصدقي إنك زي القمر...والله مش بجبر بخاطرك بس يمكن عشان ما اتعودتش أقولك كلام حلو...بس بجد شكلك يجبر أي حد يبص في الأرض...أول مرة أعرف إن النقاب ده ليه هيبه كدا ..أما دخلتي عليا الأوضة ارتبكت وقولت اللي قولته بس والله ياسديم إنتى زي القمر تعرفي إني دلوقتي حالاً نفسي ربنا يهديني ويكرمني بواحدة زيك ...
أخذ يوسف يتحدث طويلا ويتغزل في سديم محاولاً إرضائها حتى قامت من سريرها مبتسمة قائلة:
- ما انت كويس أهو، أمال ليه بتعمل معايا كدا من الأول وكلامك اللي زي الطوب ده؟
- هههههههه طوب..طيب قومي بدل ما أبطحك بنص قالب....سديم أنا قررت اتغير وبتمنى من ربنا يهديني.
- ربنا يهديك يا يوسف يارب.
- يا رب ياسديم إدعيلى دايما بالهداية.
- طيب يالا ياخويا لاحسن هنتأخر.
قاما الاثنان سوياً بعد أن صالح يوسف أخته ليذهبا إلى حفل الزفاف ....يتألق يوسف كعادته فى ذوقه الرفيع في اختيار ما يرتديه فكان يرتدي بنطالاً من الجينز فاتح اللون وقميصاً أسود ممَّا زاد من أناقته....ثم قام يوسف بفتح باب السيارة لأخته وقال:
- اتفضلي ياسندريلا.
يقفز قلب سديم من شدة فرحها بأخيها فهي أول مرة تسمع منه ذلك الكلام.......تقف السيارة أمام المسجد ويتفق يوسف مع سديم على موعد عند الانتهاء...

دلفت سديم إلى قاعة النساء لتلتقي بها مريم بسعادة بالغة...
- إيه يا بنتي ماشاء الله الله اكبر إيه القمر ده..... قالتها مريم وهي تحتضن سديم:
- ربنا يبارك فيكي ياحبيبتي إنتى اللي قمراية.
- تعالي أعرفك على ماما.

دخل يوسف إلى قاعة الرجال ليجد " إسلام " منشغلاً في استقبال المدعوين:
- ألف مبروك يا سولم.... ربنا يعينك يا بني ...عقبال فرحك.
- الله يبارك فيك ياصحبي..... سامحني إنت شايف طالع عيني... اقعد ياحبي على الترابيزة هناك وأنا هخلص وأجيلك.
- حاضر .... ماتشغلش بالك أنا هتعامل يا حبي.

يذهب يوسف ليجلس على طاولة بمفرده فهذه أول مرة يحضر فيها فرحاً إسلامياً ..شعر يوسف بالملل فقام بفتح حسابه على موقع التواصل الاجتماعي ليجد رسالة من فادي صديقه يخبره أنه قد عاد من هولاندا ويريد أن يراه اليوم ليحتفلوا سويا...لحظات ويرسل له يوسف...
- حبيبي نورت الدنيا...أكيد لازم نتقابل بس صعب النهارده قاعد في فرح كئيب كدا ناشف مافهوش أي حته طرية ....
ليرد فادي....
-ياعم فكك وتعالى ...النهاردة في احتفال برجوعي و بنات وهعيشك.
وفي نهاية الحديث يتفق يوسف مع فادي على المجيء بعد أن ينتهي من حفل الزفاف...يتفاجأ يوسف بمن يقول...
- عمو ...عمو... ينفع أقعد معاك.
- أهلا... أكيد ياحبيبي ..بس إنت جاي مع مين؟.. ينتبه يوسف لمن يقول:
- آسر إنت بتعمل إيه هنا؟ مش قولتك ما تتحركش من جنبي.
- أنا قاعد هنا مع عمو.
- مش قولتلك خليك جنبي ما تتحركش... بتأسف لو أزعجك.
- لا أبدا مافيش إزعاج..... اسمك آسر بقى.
- آه يا عمو .. وحضرتك.
- أنا يوسف... ثم يقاطعهم صهيب قائلاً:
- بعد إذنك هنستأذن... يالا يا آسر ماما مستنيانا بره.
يخرج صهيب وإخوه الصغير وأثناء سيرهم ينظر آسر خلفه و يلوح بيده تجاه يوسف فتبسم يوسف ضاحكاً وقال:
- طفل عسول والله.
لحظات و يسمع رنين هاتفه ...
- السلام عليكم أنا خلصت يا يوسف وواقفة برة ...قالتها سديم.
- طيب أنا طالع أهو.

يتجه يوسف نحو إسلام ليودعه:
- مبروك يا إسلام وعقبالك أما أفرح بيك.
- الله يبارك فيك....لسه يا بني خليك شوية.
- معلش بس عندي مشوار ضروري.
- جزاك الله خيراً يا يوسف، وربنا يبارك فيك.
- حبيبي يا إسلام إنت أخويا مش صحبي.

يخرج يوسف من قاعة الرجال ممسكاً بهاتفه يتصل بفادي صديقه:

تودع مريم سديم ووالدتها وأثناء توديعها تسمع مريم من يقول:
- يا لا ياسديم أنا متأخر على معادي.
تلتفت خلفها لتقع عيناها بعيون يوسف مباشرة دون قصد ....

الفصل العاشر

(وقد كان)

النفس....هي عدو الإنسان الحقيقي فإن ألجمْتها بزمام الطاعة ردخت لطاعة الله ...ولكن إن تركْت لها الأمر فكأنك تركت لها زمام الامور تقودك مثلما تقود البعير العربة.

يقف يوسف صامتاً كأنه تجمد مكانه لا يدري مايقوله شعر بأن الزمن توقف عندما رأى عينيها وما تحمله من حنين .... كأنه رأى العالم بداخل عينيها....تقطع شروده صوت سديم قائلة:

- حاضر يا يوسف أهو... مع السلامة يا حبيبتي أشوفك في الجامعة طمنينى أما توصلي.
- ها... حاضر يا سديم ...خلي بالك من نفسك.

اتجه يوسف وسديم نحو سيارته .... لاحظت والدة مريم تلك الحالة التي ظهرت على مريم بعد أن ذهبت سديم.

- مريم في حاجة يابنتي؟
- ها ... لا يا ماما أبدا ما فيش...هو صهيب لسه ماوقفش تاكسي؟
- لا لسه... تعالى هنا يا آسر ماتروحش بعيد.

لا تدري مريم ماذا حل بها كأن غصةً في حلقها ...كأن شيئاً يقبض على قلبها فتزيد آلامه.

وأثناء الرجوع يتحدث يوسف مع سديم قائلاً:

- فرح كئيب أوووي....ولا مشغلين موسيقي هادية حتي ...ده كان عزا مش فرح.
- حرام عليك ما تقولش كدا... ده كانت ليلة حلوة وإحنا هيصنا مع نفسنا وإيمان رمت بوكيه الورد وعملنا اللي في نفسنا.
- نفسكم؟... آخر مره أروح فرح زي ده....
- مالكش في الطيب نصيب يا يوسف....بكرا تتخانق معايا وتقولي ماتعمليش كدا عشان ربنا ما يزعلش وتبقي آمامي إن شاء الله.
- ربنا يسهل....هي ديه صحبتك المتكبرة اللي ماسلمتش عليا في الكلية ولا واحدة تانية ..أصلكم شبه بعض.
- يوسف بعد إذنك ماتقولش على مريم كدا هزعل بجد.
- خلاص يا فندم بعتذر ....ماغلطناش في البخاري.

لحظات قليلة و تقف السيارة أمام المنزل.

- يالا إنزلي.. أنا شوية وراجع.
- رايح فين دلوقتي؟
- هو تحقيق ياسديم في إيه؟ قولتلك شوية وراجع...رايح أجيب صحبي من المطار.
- طيب ربنا يعينك على فعل الخير ويهديك يارب .. ماتتأخرش.

يصل يوسف إلى الفيلا التي تقام فيها الحفلة بعد أن أعطاه فادي العنوان ... موسيقي صاخبة ..أصوات عالية .. تفاجأ يوسف أنه في بؤرة يرأسها الشيطان ...ولكن مع قلة إيمانه كان من السهل أن يقبل بأية

مغريات.
- أووووو جوزيف حبيبي وحشتني قالها فادي وهو يحتضن يوسف.
- و إنت أكتر ... إيه يابني الغيبة دية؟
- دراسة وشغل بابا ...قولت آجي آخد أجازة هنا لأنكم وحشتوني....تعالى أعرفك على الشلة ... هي شباب ده يوسف صديق عمري ...يعني هو وفادي واحد رحبوا بيه معايا...

التفتت جميع الأنظار نحو يوسف... أناقته ووسامته جعلت أعين الفتيات لم ترَ غيره في الحفل ... جلس يوسف مع فادي وسط مجموعة من الفتيات تم التعارف بينهم وسرعان ما تأقلم يوسف على الوضع بل أحبه...شعر بأنه وجد السعادة ولكن هيهات هيهات يا يوسف فالسعادة ما وجدت في معصية الله بل في القرب من الله ومعرفة من تعبد بحق وما النعيم الذي أعده من أجل من أطاعه؟.

لحظات ويخرج فادي من جيبة علبة تحتوي على سجائر غريبة الشكل أشعل واحدة وبدأ الكل يتهافت على تلك العلبة وآصوات الفتيات يطالبن فادي بواحدة...شعر يوسف آنه غريب عنهم ...الكل يشعل ويشرب وهو لا.... النفس ترغب في واحدة، ولكن مازال العقل في وعيه ولم يُغيَّبْ، مازالت بذرة الإيمان تمنعه من فعلها ...و في النهاية ردخ يوسف إلى نفسه وشيطانه وقال:
- هو أنا مش صحبك ياعم ما تعزم.
- هو إنت بتشرب أصلا يا يوسف.
- لا بس نجرب عادي.
- طيب خلي بالك الصنف ده تقيل شوية.
- ياعم تقيل على أى حد إلا أنا.
قالها يوسف وهو يتباهى وسط الفتيات... نفس ثم يتبعه آخر وكأن الأمر طبيعي بالنسبة له ...دقائق معدودة و تغيب العقل ... عدم وعي.. يضحك باستمرار... ويتفوه بكلمات غريبة ...استغل فادي تلك الحالة التي ظهرت على يوسف حتى أشار إلى إحدى الفتيات وكانت تُدعى سوزي كانت أجملهن حتى عرفت المطلوب... جلست بجانب يوسف وبدأت في الدلال عليه حتي صعدت به إلى إحدى غرف الفيلا.

- -

وفي الصباح وعلي مائدة الإفطار.
- هو يوسف مش هيفطر؟
- لا يابابا هو بايت عند صحبه.
- صحبه مين.. وإزاي مايقوليش؟
- لا يابابا هو قالي إمبارح إنه رايح يجيبه من المطار فأكيد الوقت اتأخر وبات عنده، وأنا لقيت حضرتك نايم فقلت لماما.

يأخذ الأب هاتفه يتصل بيوسف ولكن لا جدوى.
- ما بيردش الأستاذ.
- يمكن عامله صامت يا جمال.... هدي نفسك مش كدا، قالتها الأم.

- -

يستيقظ يوسف بعد مرور ساعات طويلة ينظر حوله متعجباً، لم يكن استعاد كامل وعيه واستيعابه فالمخدرات كان تأثيرها أقوى ممّا يتخيل ." أنا فين؟" قالها يوسف وهو ينظر حوله ليجد تلك الفتاة بجانبه على السرير... فزع يوسف من الخوف عندما رآها بجانبه وكيف وصلا إلى ذلك الأمر؟ .. يقطع شروده صوت سوزي وهي تقول:

- صباح الخير يا جوزيف.

وقعت كلماتها كالسهم في قلب يوسف ..فلقد عرف من نبرة حديثها بأن شيئاً حدث بينهما... طلب يوسف منها أن تقص عليه ما حدث أمس...فآخر شيءٍ يتذكره هو تلك السيجارة التي أخذها من فادي.

- -

يعلو رنين هاتفها أثناء ذهابها إلى الجامعة، يكون المتصل إسراء صديقتها.

- السلام عليكم مريم قابليني إنتى وسديم في المكان بتاعنا.

- وعليكم السلام حاضر أنا في الطريق أهو..... ثم تتصل مريم بسديم تخبرها بما قالته إسراء لها تلتقي سديم ومريم في المكان المحدد وبعد الترحيب.

- هي مش قالت أنا مستن... لم تكمل سديم جملتها حتى تفاجأت بإسراء وهي تقول:

- أنا جييت يا بنات.

- إيه ده؟ مبروك النقاب يا حبيبتي والله فرحتيني ... قالتها سديم و تحتضنها.

- أنا مش قولتلك الزن بيجيب نتيجة بعد فضل ربنا قالتها مريم وهي تحتضن إسراء.

- الحمد لله ... ده كرم ربنا عليا وفضل ربنا ثم أنتم.. حاسة بسعادة كبيييرة، حاسة إنى طايرة مش على الأرض .. كلامكم فعلاً أثر فيا و خلاني أقنع ماما، والحمد لله وافقت هي وبابا... إزاي مش عارفه بس أنا دعيت ربنا أوووي إنهم يوافقوا وقد كان ...

إخواتي طبعا اتريقوا عليا بس الحمد لله مش فارق معايا خالص وتقبلوا الوضع.

- الحمد لله ربنا يثبتك يا حبيبتي ... قالتها حفصة ثم أمسكت هاتفها..

- -

يقطع كلامها صوت رنين هاتف يوسف ليجد سديم من تتصل به ... لا يعرف بماذا يجيب؟ أو ماذا يقول لأهله؟ وماذا يقول لنفسه على ما فعله أمس؟.. يطلب من سوزي أن تصمت ليجيب قائلاً:

- ألو....

- بعد إذنكم يا بنات....... إيه يا بني إنت فين الدنيا مقلوبة من إمبارح عليك.

- مقلوبة ليه في إيه لكل ده؟..... أنا مروح البيت أقابلك هناك.

- ماشي أنا مروحة دلوقتي....ماعنديش محاضرات.

تلاحظ مريم أن هناك شيئاً غريباً يحدث.

- أنا هستأذنكم يا بنات هروح معلش.

- ليه كدا فيه حاجة ياسديم؟ قالتها مريم بنبرة تعتليها القلق.

- لا أبداً ياحبيبتي ما فيش.... مبروك ياسوسو وربنا يثبتك ...بعد إذنكم.

- هبقى أتصل بيكي بالليل أطمن عليكي.